



مجلة النور للدراسات الإنسانية

<https://jnh.alnoor.edu.iq/>



بنية أسلوب القصر في مقدمات التأليف البلاغية من القرن الخامس إلى القرن الثامن الهجري (دراسة أسلوبية)

رحمة أياد عبدالله إبراهيم و مازن موفق صديق الخيرو
كلية التربية للبنات، جامعة الموصل، الموصل، العراق

Article Information

Article history:
Received: 11 December 2024
Revised: 11 January 2025
Accepted: 21 January 2025

Keywords:

Style,
Restriction,
Rhetoric,
Prefaces,
Text,
Usage

Corresponding Author

rahma.23gep93@student.uomosul.edu.iq

المستخلص

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:
يتناول البحث "بنية أسلوب القصر في مقدمات التأليف البلاغية من القرن الخامس إلى القرن الثامن الهجري (دراسة أسلوبية)"، إذ يُعَدُّ أسلوب القصر أحد أبرز الأساليب البلاغية التي تميّز بها النثر العربي في مختلف العصور، لما يحمله من قدرة على التركيز والإيجاز وتوجيه المعنى بما يخدم غايات النص البلاغي، وقد تميزت مقدمات المؤلفات البلاغية بين القرن الخامس والثامن الهجريين بأسلوبية دقيقة، تنوّعت بين الأغراض التعليمية، والجمالية، والتأثيرية، مما يعكس ثراء التراث البلاغي وعمق الفكر العربي في تلك الحقبة. يهدف هذا البحث إلى دراسة بنية أسلوب القصر في مقدمات هذه المؤلفات، من خلال تحليل النصوص البلاغية في ضوء المنهج الأسلوبي، للكشف عن خصائص القصر وأنماطه، وكيفية توظيفه لتحقيق غايات متعددة، سواء كانت تعليمية أو إقناعية أو جمالية. كما يُسلّط الضوء على السياقات التاريخية والثقافية التي أثّرت في صياغة هذه المقدمات، ومساهمتها في تطور البلاغة العربية..
الكلمات المفتاحية: أسلوب، قصر، بلاغة، مقدمات، نص، استعمال.

DOI: <https://doi.org/10.69513/jnh.v4.i3.a4> ©Authors, 2026, College of Education, Alnoor University.
This is an open-access article under the CC BY 4.0 license (<http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/>).

The Structure of the Restriction Style in the Prefaces of Rhetorical Compositions from the 5th to the 8th Hijri Century (A Stylistic Study)

R A A Ibrahim and M M S Al-Khairi

Department of Arabic Language, College of Women's Education, University of Mosul, Iraq

Abstract

Praise be to Allah, Lord of the Worlds, and may peace and blessings be upon the Seal of the Prophets and Messengers, our Master Muhammad, and upon his family, companions, and those who follow them in righteousness until the Day of Judgment.

This research addresses "The Structure of the Restriction Style in the Prefaces of Rhetorical Compositions from the 5th to the 8th Hijri Century (A Stylistic Study)." The restriction style is considered one of the most prominent rhetorical styles that distinguished Arabic prose across various ages due to its ability to focus, condense, and direct meaning in a way that serves the purposes of rhetorical texts. The prefaces of rhetorical compositions from the 5th to the 8th Hijri centuries are characterized by precise stylistics that vary between educational, aesthetic, and persuasive purposes, reflecting the richness of rhetorical heritage and the depth of Arab thought during this period.

This research aims to examine the structure of the restrictive style in the prefaces of these compositions by analyzing rhetorical texts through a stylistic approach. It seeks to uncover the characteristics and patterns of restriction and how it was employed to achieve multiple purposes, whether educational, persuasive, or aesthetic. Additionally, it sheds light on the historical and cultural contexts that influenced the formulation of these prefaces and their contribution to the development of Arabic rhetoric.

مدخل:

وقد جاء أسلوب القصر في قوله: " كلام لا يفرغ إلا في قالب الصدق، ولا ينسج خبره إلا على منوال الحق، فبالحريري تلقيه بالقبول إذا ورد يقرع الأسماع" (السكاكي، 1983، 5)، (4) في هذا الخطاب الخبري تتجلى ظاهرة القصر عبر استعمال أدوات النفي والاستثناء؛ إذ اعتمد الكاتب على أساليب القصر في عبارتين مترادفتين متوازيتين، فيحمل هذا التعبير دلالة على حصر مضمون الكلام في قالب الصدق فقط، ويظهر ذلك وكأن المتكلم ينفى إمكانية أن يكون هذا الكلام خارج حدود الصدق، مما يعزز دلالة الأمانة في النقل، ويتضح من العبارة والتي تعد مثلاً على القصر الحقيقي، إذ يخصّ الصفة (الإفراغ في قالب الصدق ينسج على منوال الحق) بالموصوف (الكلام وخبرة) مما يجعل القصر في هذا العبارة قصر صفة على الموصوف، استعمال أسلوب القصر هنا يعكس رغبة المؤلف في لفت انتباه المتلقي وتثبيت فكرة الدقة في ذهنه، الناتجة عن اختيار هذا الأسلوب والأداة الملائمة، وقد تحقق القصر هنا عبر ركنين: الأول (النفي بـ لا)، والثاني بالأداة (إلا)، مما يجعل القصر هنا بالنفي والاستثناء (الهاشمي، 1999، 147)، (5)، و"القصر به له مذاق خاص، ومقام معلوم لأنه يشارك المتلقي في الوصول إلى الحكم أو المعنى تحقيقاً للغرض، بآثارة طاقاته ويحفزه على التأمل والتذوق وصولاً إلى اقناع موثر بحق واضح في نفسه" (عبيد، 1986، 155)، (6) كما أن تعبير (في قالب الصدق) تشبيه ضماني يشبه الصدق بإناء أو قالب الذي يصب فيه الكلام مكوناً بذلك صورة ذهنية تربط الكلام بالصدق وكأن الكلام لا يمكن إلا أن يكون صادقاً، ليعزز بذلك دلالة الصدق كخاصية جوهرية لهذا الخطاب، ونلاحظ أسلوب السجع في كلمتي (الصدق والحق) وهو من الأساليب البلاغية الجميلة التي تعطي إيقاعاً موسيقياً ألفت انتباه القارئ، يقول الكاتب: "فإننا إذا تصفحنا الفضائل لنعرف منازلها في الشرف، ونتبين مواقعها من العظم؛ ونَعْلَمُ أي أحق منها بالتقديم، وأسبق في استجاب التعظيم، وجدنا العلم أولاً بذلك، وأولها هنالك، إذ لا شرف إلا وهو السبيل إليه، ولا خير إلا وهو الدليل عليه، ولا منقبة إلا وهو ذروتها وسنامها، ولا مفخرة إلا وبه صحتها وتامها، ولا حسنة إلا وهو مفتاحها؛ ولا محمداً إلا ومنه يتقد مصباحها" (الجرجاني، د. ت، 4)، (7).

ففي هذا النص استعمل الكاتب أساليب القصر باستعمال النفي والاستثناء بـ (إلا) عدة مرات للتأكيد على أهمية العلم، ويؤكد على أن العلم هو السبب الوحيد لكل صفات الشرف والرفعة لا شرف إلا وهو السبيل إليه، إذ قصر الصفة (السبيل) على الموصوف (الشرف) وهو نوع من أنواع القصر الحقيقي، إذ يقصر الشرف الحقيقي الذي يراد به مكانة الإنسان ورفعة منزلته على السبيل إليه، ومن الصور التي

يعد أسلوب القصر أحد أهم أبواب البلاغة، وهو شكل من أشكال الإيجاز والتأكيد في اللغة، وأساليب القصر أساليب ثرية، فهي من الأساليب الغنية بالاعتبارات الدقيقة والملاحظات اللطيفة، ويعرف القصر في اللغة بأن "القاف والصاد والراء أصلان صحيحان، أحدهما يدل على ألا يبلغ الشيء مآله ونهايته، والآخر على الحبس. والأصلان متقاربان" (فارس، 1979، 96/5)، (1)، ومنه قوله تعالى: { خُورْ مَقْصُورَاتِ فِي الْخِيَامِ } (سورة ارحمن، 72) وفي اصطلاح علماء المعاني هو "تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص، والشيء الأول هو المقصور، والشيء الثاني هو المقصور عليه، والطريق المقصود هو أدوات الموضوع له" (الصعيد، 1991، 48)، (2) فعندما نقول: زهير شاعر لا كاتب فإننا نخص زهيراً بصفة الشعر بحيث لا يتجاوزها إلى صفة الكتابة، فزهير مقصور والشعر مقصور عليه، وقد قيد البلاغيون التخصيص بالطريق المقصود، ليخرج كل ما أفاد القصر بغير تلك الطرق المخصوصة، فقولنا: زيد مقصور على العلم، وجاء محمد وحده... وعلي يختص بالشعر... وخالد ينفرد بالشجاعة.

وينقسم القصر بحسب الحقيقة والإضافة إلى: (مطلوب، 1999، 170)، (3)

١ - قصر حقيقي: وهو أن يختص المقصور بالمقصود عليه بحسب الحقيقة لا يتعداه إلى غيره أصلاً، كقوله تعالى: { إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَؤُا الْأَبَابِ }.

فالتذكر صفة لا تتجاوز إلى غيرهم من سائر الناس في الحقيقة والواقع. ومنه: (ما خاتم الأنبياء والرسول إلا محمد) فخاتم الأنبياء والرسول، وهو المقصور مختص بمحمد وهو المقصور عليه لا يتجاوز إلى غيره.

2- قصر إضافي: وهو غير الحقيقي وذلك بأن يكون القصر فيه بالإضافة إلى شيء مخصوص لا إلى جميع ما عدا المقصور عليه، ومنه قوله تعالى: { وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ }، ف«محمد» مقصور على الرسالة بالإضافة إلى شيء آخر، وليس المقصود أن الرسالة مختصة به وحده، ومنه قولنا: (ما محمد إلا كاتب) فليس المقصود أن محمداً مقصور على الكتابة وحدها بحيث لا يتعداها إلى شيء آخر، لأن الحقيقة والواقع خلاف ذلك، وإنما المقصود أنه مقصور على الكتابة بالإضافة إلى شيء آخر معين كالشعر أو الرسم وغيرهما.

في استرساله نلاحظ قصر الصفة (التقديم) على الموصوف (الموصوف) وابتدائه بالجملة خبرية مستدعية عدد من الموكدات منها (إن) فضلاً عن تقديم الجار والمجرور له، فهذا الاستعمال للأسلوب الخبري جاء خصيصاً أسلوبية للمؤلف في حث المتلقي على الانتباه لأمر الاستفهام، ويعد من القصر الإضافي وتصدره فضلاً عن الصفة له موضع في رتبة الكلام لا تتقدم إلا عندما تنزع منها حالتها الخاصة الوصفية، وبهذا يجوز تقديمها على موصوف فالقصر جاء باستعمال أداة النفي فضلاً عن الاستثناء، وهذا النوع مميز أكثر من غيره، واستعمل الكاتب في جملة (يستحسن شعراً - يستجيد نثراً) بنية المماثلة الاستعارية، جعل الشعر مستحسنًا ومحبوبًا كأنه كائن حي، وهذا يعطيه صفة المحبوبة وهي استعارة مكنية؛ إذ حذف المُشَبَّه به وأبقى على صفة من صفاته، وهي الاستحسان كما تعد جملة يستجيد نثراً يصور النثر بشي يقدر وهو أيضاً استعارة مكنية، إذ حذف المشبه به وأبقى على شيء من لوازمه، وعند التأمل في كلمتي (شعراً ونثراً) نجد تضاد إيجابي بين الكلمتين أي بين نوعين أدبيين مختلفين في خصائصهم هو تضاد معنوي يسهم في تقديم الفكرة الأدبية بعمق فهو يدعو القارئ للتأمل في جماليات الأدب بوجهيه المختلفين ويجعله يشعر بقيمة كل منهما.

ويقول الكاتب "وما من تأليف إلا وقد تصفحت شينه و زينه، وعلمت غثه وسمينه، فلم أجد ما ينتفع به في ذلك إلا كتاب «الموازنة» لأبي القاسم الحسن بن بشر الأمدى" (ابن الأثير، د. ت، 15/9).

يتجلى أسلوب القصر حول احاطة المؤلف لشموليته بالمؤلفات التي كان الوصول إليها ميسوراً له، وهذا القصر غير حقيقي، ثم يستعمل الأسلوب ذاته مرة أخرى في تخصيص الفائدة في كتاب الموازنة، وهنا القصر إضافي فلا يمكن أن يكون القصر حقيقي فالأمدى وكتابه ينتفع به وبغيره، ولكن ابن الأثير أراد إعطاء أفضليه لهذا الكتاب أو كانت الرؤية التي أعلن عنها المؤلف تمثل وجهة نظره الخاصة، ورأيه النقدي في الكتاب الذي أشار إليه، فالمزج الأسلوبية ظاهرة واضحة المعالم، في كلام المؤلف، كما نجد المؤلف يعتمد على الإيجاز بالحذف، هذا الإيجاز يوحي بأن الكاتب قام بعملية تقييم واسعة وشاملة لمختلف الكتب، ويعطي القارئ انطباعاً بكثرة الكتب التي اطلع عليها، مع التركيز على أن أفضل ما وجده هو "كتاب الموازنة"، مما يرفع من قيمة هذا الكتاب.

يوظف الشاعر الثنائيات الضدية توظيفاً دقيقاً ليعبر عن موقفه، فطرف الأول (الغث) يدل على الرديء، والطرف الثاني (السمين) يدل على الجيد، فالكاتب ربط بين (شينه وزينه) لإعطاء صورة جمالية تناسب نظرة الكاتب الذي يوحي بأن الكاتب لا يكتفي بالوصف السطحي، بل يتعمق في تفاصيل العمل الأدبي ليفرق بين ما يستحق القراءة وما لا يستحقها.

"ولا سبيل إلى ذلك إلا بمعرفة علم البلاغة وتوابعها من محاسن البديع اللتين بهما يعرف وجه اعجاز القرآن" (الحلي، 1982، 51/11).

استعمل الكاتب أسلوب القصر من خلال النفي والاستثناء بأداة (لم) مع (إلا) ليعبر عن التأكيد والحصر، إذ نفى فعل الترك بعبارة (لم يدعوا) وأثبت بعد (إلا)، مما يعزز المعنى ويوحي بأن علماء الأمة لم يغفلوا عن توثيق أي صغيرة أو كبيرة، كما يلاحظ التأكيد باستعمال عبارات التجانس مثل: "شاردة ولا واردة"، وهوتجانس صوتي يعمق المعنى ويضيف شمولية، مما يشير إلى دقة وحرص العلماء في التصنيف، ويوحي بأن العمل غطى كل جانب، ويظهر كذلك أسلوب التقديم والتأخير بذكر "حركة التصنيف" أولاً، ما يمهّد للمتلقى تصور حجم اتساعها قبل الإتيان بأسلوب القصر في نهاية الجملة، إذ

استعملها الكاتب السجع أيضاً، الذي أضاف تناسقاً إيقاعياً متوازناً للنص، فنرى توافق الفاصلتين بنهاية كلمتي (الشرف والعظم)، مما يعطي إيقاعاً خاصاً يجذب الانتباه، ويضفي على النص تناسقاً وجمالاً، وكذلك نجد السجع في كلمتي (التقديم والتعظيم)، إذ تتكررت القافية بنهاية الكلمات المختلفة ولكن بنفس الحروف الأخيرة، مما يخلق انسجاماً وإيقاعاً ممتعاً، كما نلاحظ السجع في عبارتي (ذروتها وسمانها وصحتها وتمامها)، إذ يعزز هذا السجع الانسجام بين المعنى والإيقاع، و"هو توافق الكلام في الحرف الأخير" (العدوس 2006، 289/9)، ويؤكد على أهمية العلم من خلال وضعه في مرتبة سامية، ويصف العلم كأنه قمة الفضائل وذروتها، وأخيراً، يظهر السجع في (مفتاحها ومصباحها)، مما يضيف حساً موسيقياً ويكسب النص توازناً صوتياً، يزيد من قابليته للحفظ والتأمل، ونرى استعمال الكاتب أساليب أسلوبية فضلاً عن السجع وأسلوب القصر، واستعمل التكرار بـ (لا وإلا) فضلاً عن ذلك استعمل التجانس الصوتي الذي يضيف إليه حساً موسيقياً متوازناً، والجناس يسمى المجانسة عند توافر حروف الألفاظ من جنس ومادة واحدة، دون اشتراط التماثل الكامل، بل يكفي التقارب (الجندي، د. ت، 3/10)، إذ يستعمل الكاتب في مقدمة (أولاه وأولها) منازلها و مواقعها) وهو جناس غير ناقص، إذ نستنتج أن "الجناس الناقص ليس توسعاً في الكلام بل تنوعاً في عرض جنبات الفكرة، وتعمقاً لمختلف دقائق الصورة" (سلطان، 1992، 155/11).

ومن صور توظيف أسلوب القصر ما قاله الكاتب في مقدمة كتابه، إذ يقول: "إنما هو خبر واستخبار، وأمر ونهي" (الجرجاني، د. ت، 6/7) يستعمل الكاتب أسلوب القصر هنا بأداة (إنما) وهي أداة من أدوات القصر "م. ن، 321"، ودلالة القصر تميزها بما اختلفت عن الصفات الأخرى (طبل، 2004، 153/8)، ويتجلى أسلوب القصر هنا بتخصيص الكلام على نوعين فقط هما (الخبر والاستخبار)، مما يوحي بأن الحديث محصور في هذين الصنفين، ثم يوسع الكاتب نطاق القصر باستعمال حرف العطف الواو ليضيف الأمر والنهي، مكملاً لذلك التقسيم ليشمل أربعة أنواع من الكلام، وهي: الخبر، والاستخبار، والأمر، والنهي فإن القصر هنا بوسيلة "إنما" يمثل أسلوباً بلاغياً قوياً يستعمل للتأكيد على أن النص محدد في وظائف معينة ضمن سياق معين التي تحصر الكلام في نوعين خبر واستخبار في البداية، ثم يُضاف إليها أمر ونهي بالعطف، مما يوسع القصر ليشمل هذه الأنواع الأربعة فقط، هذا الأسلوب يعزز وضوح المعنى ويفرض حصراً منطقياً على أنواع الكلام، مما يجعل النص منظماً ومحدداً في دلالاته مع إشارة ضمنية إلى احتمال وجود وظائف أخرى سبب كونه قصراً إضافياً: الجملة تقيد أن النص أو الكلام الموصوف محصور على كونه خبراً واستخباراً وأمرًا ونهيًا، لكن هذا لا يعني حصره على هذه الوظائف فقط، فقد يكون للكلام وظائف أخرى خارج هذه الجملة، كأن يكون لغرض الشعر، أو التعليم، أو الوصف، وغيره؛ لذا فالقصر هنا ليس مطلقاً بل نسبي، مقصور على هذه الوظائف في سياق معين، ونوع القصر (موصوف على صفة): فالقصر في هذا الموضع هو قصر موصوف على صفة، إذ إن "هو" (الموصوف) مقصور على خبر واستخبار وأمر ونهي (الصفات)، مما يدل على أن الكلام في هذا السياق محصور في هذه الوظائف الكلام قد يتعدى إلى وظائف أخرى غير تلك المذكورة (الخبر، الاستخبار، الأمر، النهي) ومن الصور البلاغية استخدام أسلوب الإيجاز، فهو "حذف زيادات الألفاظ" (ابن الأثير، د. ت، 255/9) الذي يضيف على النص تركيزاً ووضوحاً.

ومن سياق التأليف البلاغية ما قاله الجرجاني في مقدمته "الاستفهام له صدر الكلام، وإن الصفة لا تتقدم على الموصوف إلا أن تزال عن الوصفية إلى غيرها من الأحكام فإذا رأيت البصير بجواهر الكلام يستحسن شعراً أو يستجيد نثراً" (الجرجاني، 1988، 4/10)

معاني المقصودة كالإخلاص في العمل وإظهار تهميش المجتمع للعلماء المخلصين، إذ يستعمل النداء لغرض تنبيه القارئ، لأنه يعبر عن حسرة واضحة على إضاعة الجهد في طلب المطامع التي لا تجلب نفعاً حقيقياً، إذ يعرف النداء بأنه "طلب الإجابة لأمر ما بحرف من حروف النداء ينوب مناد أدعو" (الميداني، 1996، 240) (16)، "فالبنية الندائية تتميز من بين الأساليب الطلبية بتأكيد بعد الانفتاح، فهو انفتاح وانتشار باتجاه العالم الخارجي والداخلي" (أبو ديب، 1979، 69) (17) كما يستعمل التكرار (أملّي وأملّي) التي تعد تجانساً صوتياً تاماً، أما (مهمة ومهمل) التي تعد تجانساً صوتياً ناقصاً، الاختلاف في الحرف الأخير (التاء واللام) فالتجانس الناقص هو "ما اختلف فيه اللفظان في واحد من الأمور" (عتيق، د. ت، 205) (18).

النتائج التي وصل إليها البحث:

- أظهر البحث أن استخدام القصر في مقدمات الكتب البلاغية كان يتميز بدقة ووضوح، حيث يُبرز صفة أو فكرة مركزية مثل أهمية العلم أو الدقة في النقل.
- لاحظ الباحث أن أسلوب القصر لم يكن منعزلاً، بل كان دائماً مقترناً بأدوات أخرى مثل السجع والجناس، مما عزز قوة النصوص وجعلها أكثر جاذبية.
- أوضح البحث أن القصر كان يُستخدم لأغراض متعددة مثل الشرح، التوجيه، التأكيد، أو حتى الانتقاد، مما يعكس مرونة هذا الأسلوب البلاغي.
- كشف التحليل عن تطور استخدام أسلوب القصر بين القرنين الخامس والثامن الهجري، حيث ظهر اختلاف في أساليب القصر وأدواته حسب السياق الفكري والزمني.

الهوامش:

1. مقاييس اللغة، احمد بن فارس، تحقيق: عبدالسلام هارون: 96/5.
2. سورة الرحمن: 72.
3. البلاغة العالية (علم المعاني)، عبد المتعال الصعيدي، مراجعة وفهرسة: عبد الفتاح لاشين: ٤٨.
4. البلاغة والتطبيق، د. احمد مطلوب: ١٧٠.
5. مفتاح العلوم، سراج الملة والدين أبي يعقوب يوسف محمد بن علي السكاكي: ٥.
6. ينظر: جواهر البلاغة في (المعاني والبيان والبدع)، أحمد الهاشمي: 147.
7. أساليب القصر في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية، د. صباح عبيد: 155.
8. دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني: 4.
9. مدخل إلى البلاغة العربية علم المعاني علم البيان علم البديع، يوسف مسلم أبو العنوس: 289.
10. ينظر: فن الجناس، علي الجندي: 3.
11. البديع في شعر شوقي، منير سلطان: ١٥٥.
12. دلائل الإعجاز: 6.
13. ينظر: المصدر نفسه: 321.
14. ينظر: علم المعاني في الموروث البلاغي تأصيل وتقييم، حسن طبل: 153.
15. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين ابن الاثير: 255.
16. أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني: 4.
17. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: 15.
18. شرح الكافية البديعية، صفى الدين الحلبي: 51.
19. التبيان لبديعية البيان، ابن ناصر الدمشقي: 7.
20. فن البلاغة، عبد القادر حسين: 269.
21. التبيان لبديعية البيان، ابن ناصر الدمشقي: 8.
22. يُنظر: اللغة في الدرس البلاغي، عدنان عبد الكريم جمعة: 215.
23. عروس الافراح في شرح تلخيص المفتاح، بهاء الدين السبكي: 23.
24. البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن الميداني: 240.
25. جدلية الخفاء والتجلي، كمال أبو ديب: 69.
26. علم البديع، عبد العزيز عتيق: 205.

يدرك القارئ ضخامة العمل ثم يتأكد من شموليته بعبارة "لم يدعوا شاردة ولا واردة إلا قيدوها"، وتكتفت اللغة في هذه العبارة بأسلوب مختصر من حيث الألفاظ والتركييب، إذ يُحصر المعنى في فكرة واحدة تتمثل في عدم إغفال شيء، مما يجعل أسلوب القصر ذا تأثير قوي يُبرز دقة العلماء ويُعطي انطباعاً عن شمولية وتكامل جهدهم في فن التراجم، مما يعزز لدى القارئ إدراك عظمة هذا الجهد المبذول كما يضيف النص تجانس بين كلمة شاردة وواردة الذي يجعل أسلوب القصر أكثر توكيداً، وفي قول البلاغي (وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله) (الدمشقي، د. ت، 7) (12).

استعمل التركيب "وأشهد أن لا إله إلا الله" يُظهر القصر باستعمال النفي والاستثناء. يعد هذا الأسلوب من أكثر الأساليب قوة في اللغة العربية لتأكيد المعنى، إذ ينفي كل إله سوى الله، وهذا النوع من القصر هو قصر حقيقي، فانطباق الكلام على واقع الأمر انطباق كامل ومطلق، فهذه الصفة تنتقي عن غيره - سبحانه وتعالى فهو المتفرد بالتوحيد، مالك الملك خالق الخلق

ومن الأساليب البلاغية يستعمل الكاتب الأسلوب الخبري فجملته (لا إله إلا الله) جملة خبرية تبدأ بفعل (أشهد) وهي فعل مضارع تقيد الحاضر والمستقبل الذي يوحي بشهادة المتكلم واقتناعه وإيمانه، وربما تظهر سرعة الامتثال في الفعل المضارع دون الأمر؛ باعتبار أن المضارع يدل على الحال بخلاف الأمر فإنه يدل على الاستقبال، ومن ثم تتحقق سرعة الامتثال في التعبير بالجملة الخبرية بدلاً من الجملة الإنشائية" (حسين، 1984، 269) (13)، كما وتكرر الفعل (أشهد) يعطي النص نغمة إيقاعية يعمل على تأكيد الشهادة مما يعكس الإيمان الراسخ، وتعد جملة (أشهد أن لا إله إلا الله) متوازية مع جملة الثانية (وأشهد أن محمداً عبده ورسوله) نلاحظ أيضاً إلى التجانس الموسيقي بين (عبده ووحده) وهو من الجناس غير التام والسجع في نهاية الجملة (إله ورسوله)

"اتسعت حركة التصنيف اتساعاً كبيراً في دراسة الرجال وفي فن التراجم، فلم يدع أئمتنا شاردة ولا واردة إلا قيدوها" (الدمشقي، د. ت، 8) (12).

في هذا الاسترسال الكلامي نرى المؤلف يحاول توكيد قوله بأن علماء الأمة، قد احاطوا علماً بهذه الفنون وضعوا لها القواعد والقوانين، وهو يتوسل بوسيلة أسلوب القصر من أجل إثبات صفة العموم والشمول على عمل الأئمة الأعلام، وهو قصر إضافي فلا يمكن الاحاطة بكل شيء، فهو من علم الله وحده - سبحانه (جمعة، 2008، 215) (14) يتحقق أسلوب القصر باستعمال النفي والاستثناء، إذ نفي الكاتب فعل الترك أو الإهمال (لم يدع) وأتى بأداة الاستثناء "إلا"، مما جعل الجملة تشير بوضوح إلى أن أئمتنا هم وحدهم من قيدوا كل صغيرة وكبيرة، ولكن المؤلف يعمد للإفادة من الخصائص التي يمنحها القصر، فتوظيفه جاء ميزة أسلوبية للمؤلف

وورد أسلوب الوصل بـ (الفاء العاطفة)، في الجملتين الخبريتين، إذ عطفت الجملة الخبرية الأولى (اتسعت حركة التصنيف) على الجملة الخبرية الثانية (لم يدع أئمتنا) يعبر عن نتيجة مترتبة على الحركة الواسعة للتصنيف

ويقول السبكي (ت773 هـ) "يا خيبة المطامع، ويحلف صادقاً أنها لم تكن تكتب إلا بأطراف الأصابع، هنالك يعلم الطالب أنه أملّي له فيما أملّي عليه، وأنه في مهمه مهمل لا يجاب داعيه ولا يلتفت إليه" (السبكي، 2003، 23) (15)، إذ استعمل الكاتب أسلوب القصر عن طريق النفي بـ (لم) والاستثناء بـ (إلا) ينفي الكاتب الطريقة الأخرى للكتابة ويقصرها على الكتابة بالأطراف، فتركيز السبكي على أسلوب القصر الإضافي عن طريق قصر الصفة على الموصوف، فقصر الصفة تكتب بأطراف الأصابع على الموصوف وهو الكتابة للتأكيد على

References:

1. Maqāyīs al-Lughah (Measures of the Language), by Aḥmad ibn Fāris, edited by 'Abd al-Salām Hārūn, Dār al-Fikr, Cairo, 1979.
2. Al-Balāghah al-'Āliyah (The Science of Ma'ānī), by 'Abd al-Muta'āl al-Ṣa'īdī, with introduction and indexes by Dr. 'Abd al-Qādir Ḥusayn, Maktabat al-Ādāb, 2nd ed., 1991.
3. Rhetoric and Application, by Dr. Aḥmad Maṭlūb and Dr. Hasan al-Baṣīr, Ministry of Higher Education and Scientific Research, 2nd ed., 1999.
4. Miftāḥ al-'Ulūm (The Key to the Sciences), by Sirāj al-Dīn Abū Ya'qūb Yūsuf ibn Muḥammad ibn 'Alī al-Sakkākī, verified, annotated, and commented on by Na'im Zarzūr, Dār al-Kutub al-'Ilmiyyah, Beirut, 1st ed., 1983.
5. Jawāhir al-Balāghah fī (al-Ma'ānī wa al-Bayān wa al-Badī'), by Aḥmad al-Hāshimī, Dār Hindāwī, 1st ed., 1999.
6. Styles of Restriction in the Holy Qur'an and Their Rhetorical Secrets, by Dr. Ṣabāḥ 'Ubayd Darāz, Maṭba'at al-Amān, 1st ed., 1986.
7. Dalā'il al-I'jāz (Proofs of Inimitability), by Imām Abū Bakr 'Abd al-Qāhir al-Jurjānī (d. 471 AH), read and annotated by Maḥmūd Muḥammad Shākīr, n.p., n.d.
8. The Science of Ma'ānī in the Rhetorical Heritage: Foundation and Evaluation, by Ḥasan Ṭabl, Maktabat al-Īmān, al-Manṣūr, 2nd ed., 2004.
9. Al-Mathal al-Sā'ir fī Adab al-Kātib wa al-Shā'ir The Flowing Parable in the أدب of the Writer and Poet, (by Ḍiyā' al-Dīn Ibn al-Athīr, introduced and annotated by Dr. Aḥmad al-Ḥūfī and Dr. Badawī Ṭabānah, Dār Nahḍat Miṣr, Egypt, 2nd ed., n.d.
10. Asrār al-Balāghah fī 'Ilm al-Bayān (Secrets of Rhetoric in the Science of Bayān), by Imām 'Abd al-Qāhir al-Jurjānī, annotated by Muḥammad Rashīd Riḍā, Dār al-Kutub al-'Ilmiyyah, Beirut, 1st ed., 1988.
11. Sharḥ al-Kāfiyah al-Badī'iyah, by Ṣafī al-Dīn al-Ḥillī, edited by Naṣīb Nashāwī, Dār Ṣādir, Beirut, 1st ed., 1982.
12. Al-Tibyān li-Badī'iyat al-Bayān, by Ibn Nāṣir al-Dimashqī, edited by Dr. 'Abd al-Salām al-Shaykhālī et al., Dār al-Nawādir, 1st ed., n.d.
13. The Art of Rhetoric, by Dr. 'Abd al-Qādir Ḥusayn, 'Ālam al-Kutub, Cairo, 2nd ed., 1984.
14. Language in Rhetorical Studies, by 'Adnān 'Abd al-Karīm Jum'ah, Dār al-Sayyāb, Syria, 1st ed., n.d.
15. Arūs al-Afrāḥ fī Sharḥ Talkhīṣ al-Miftāḥ (The Bride of Joys: A Commentary on Talkhīṣ al-Miftāḥ), by Bahā' al-Dīn al-Subkī, edited by 'Abd al-Ḥamīd Hindāwī, al-Maktabah al-'Asriyyah, Sidon-Beirut, 1st ed., 2003.
16. Arabic Rhetoric: Its Foundations, Sciences, and Arts, by 'Abd al-Raḥmān al-Maydānī, Dār al-Qalam, Damascus, 1st ed., 1996.
17. The Dialectic of Concealment and Manifestation: Structural Studies in Poetry, by Kamāl Abū Ḍīb, Dār al-'Ilm lil-Malāyīn, Beirut, 1st ed., 1979.
18. The Science of Badī', by 'Abd al-'Azīz 'Atīq, Dār al-Nahḍah al-'Arabiyyah, Beirut, n.d.